

كذلك نجد أن د. الربيعي قصر درسه على «جماعة الديوان» وحدهم، فعقد لهم الفصل الخامس من كتابه. أما «داقيد سماح» فقد درس العقاد وهيكل وطه حسين ومحمد مندور. والثلاثة الآخرون منهم ثقافتهم فرنسية لا شأن لها بهذا البحث، ومن ثم لا يشترك الباحثان إلا في العقاد، ومع ذلك لم يتناول سماح كل جوانب التأثير عنده، على الرغم من إفاضته في دراسته. كذلك يدرس هذا البحث النقاد من جماعة الديوان ومن مدرسة أبولو أيضًا ممن لم يتعرض لهم سماح. فيتسع الميدان ليشمل جميع النقاد الذين غلب عليهم التأثير بالرومانسية الإنجليزية.

إن مثل هذا البحث عادة يواجه مشكلة أخرى في الحكم على عدد من المقولات النقدية التي يعالجها. فليس الشعر العربي مقابلًا للشعر الإنجليزي، يقف أحدهما في طرف والثاني في الطرف الآخر، ويباين كل منها الآخر في جميع الصفات. فلاشك أن الشعرين يشتركان في جوهر الشاعرية، وإلا ما سميا كلاهما شعراء، ومن ثم اشتركا في كثير من المقومات الرئيسية، واشتبهت أقوال النقاد - في هذا الأدب وذاك - في الحديث عن هذه المقومات. وصار الحكم على أقوال النقاد المصريين بأنها مأخوذة من النقد الإنجليزي، أو وصل هؤلاء النقاد إليها تحت تأثير النقد الإنجليزي، حكمًا عسيرًا، أو حكمًا لا نظمتن إليه اطمئنان الواثق. ولذلك اكتفينا في كثير من الأحيان برصد التشابه بين أقوال الفريقين من النقاد، وإن كان هذا الاكتفاء لا يعنى مطلقًا عدم تأثير المصريين بنظائرهم الإنجليزي وإنما يعنى أننا نحتاط في إطلاق الحكم.

وقد أزال عنا الحرج قول عثرنا عليه لعبد الرحمن شكري يتحدث فيه عن حالة من هذه الحالات، ويعترف فيه بتأثره بالأدب الإنجليزي، على الرغم من معرفته بما هو موجود في الأدب العربي. قال في رسالة إلى د. أحمد عبد الحميد غراب الذي ألف ترجمة للشاعر الناقد: «وحدة القصيدة أخذته عن الشعر الإنجليزي. ولكنها موجودة في الشعر العربي أيضًا، في قصائد الوصف خصوصًا، وفي كل قصيدة تقتضى الوحدة، كقصائد الوصف والقصص وغيرها»^(١).

ثم قال في رسالة أخرى: «يمكنني أن استشهد بألف قصيدة عربية بها وحدة القصيدة ويمكنني أن أستشهد بقصائد إنجليزية ليست فيها وحدة، مثلًا قصيدة «رسالة عن الإنسان» لإسكندر بوب، من الشعر الذي يسمى Didactic (تعليمي): لا أعرف أين تكون وحدة القصيدة؟ ففيها كلها وعظ وأداب من الشرق إلى الغرب. وقصيدة «رثاء البصرة» لابن الرومي لما فتحها زعيم الزنج، أليست كلها وحدة من أول بيت لآخر بيت»^(٢).

(١) عبد الرحمن شكري ٢٧٧.

(٢) نفس المرجع.